الدبلوماسية الفاعلة كأداة للسياسة الخارجية النشطة

الأستاذة: **قطاف تمام أسماء**
أستاذة مساعدة " أ " كلية الحقوق و العلوم السياسية
جامعة محمد خيضر - بسكرة

الملخص:
تقوم الدبلوماسية في عصرنا الحاضر بدور مميز وهام في نطاق العلاقات الدولية ، و ذلك باعتبارها أداة رئيسية من أدوات تحقيق أهداف السياسة الخارجية للتأثير على الدول والجماعات الخارجية بهدف استمالتها وكسب تأييدها ومعالجة كافة الشؤون التي تهم مختلف الدول.

كما تلعب الدبلوماسية دورا هاما في التوفيق بين المصالح المتعارضة ووجهات النظر المتباينة، وتيسير حل المشكلات وتسوية الخلافات وإشاعة الود والتفاهم بين الدول وبواسطتها تستطيع كل دولة أن توطد مركزها وتعزز نفوذها في مواجهة الدول الأخرى, ومنه تدعيم السلم وتجنب الحرب.

Abstract:
Diplomacy in our present time plays a specific and important role in the field of international relations. It considers from the most important (principal) tools for achieving foreign policy objectives .And for influencing to countries and foreign groups, also to attract them and their support and To influence countries and foreign groups in order to gain their support and for solving issues concern different countries.

Diplomacy also plays an important role in reconciling contradict interests and points of view ,and facilitating the resolution of problems, resolving disputes, and it works to spread friendship and understanding between states, and with it any state can Consolidate its position, and strengthen its influence in facing other countries, including consolidating peace and avoiding war.

مقدمة :

تعتبر الدبلوماسية و مدى فعاليتها و فاعليتها معيارا هاما لقياس قوة دولة ما , فلا يمكن لهذه الأخيرة لعب دور معين سواء أكان هذا الدور إقليميا أو دوليا دون الاستناد إلى دبلوماسية ذكية تعرف كيف و متى و أين و مع من تتصرف , و باعتبار الدبلوماسية أداة مهمة من أدوات السياسة الخارجية فهي تنعكس عليها بالضرورة سلبا و إيجابا, فعالية و تجاوبا , فكلما امتلكت دولة ما جهازا (طاقما) دبلوماسيا محنكا كلما انعكس ذلك على قدرتها في المناورة و صنع الفرص و خلق المصالح و كسب الأصدقاء و تجنب أكبر قدر من الخسائر و المواجهات التي لا طائل منها بل تستنزف الطاقات لا غير , ما يسمح للدولة بلعب دور إقليمي أو دولي فاعل وفق التصور الذي تضعه لنفسها لا وفق الإملاءات الخارجية التي تفرض عليها و ذلك لقوة و ذكاء ومبادرة سياستها الخارجية , و منه يمكن أن نطرح الإشكال التالي:

_كيف تلعب الدبلوماسية الفاعلة دورا مؤثرا في انتاج سياسة خارجية نشطة و مؤثرة للدولة ؟

وعليه سيتم الاجابة على التساؤل المطروح من خلال المحاور التالية :

أولا / الإطار المفاهيمي للدبلوماسية .

1. **تعريف الدبلوماسية .**
2. **الدبلوماسية و المصطلحات المرتبطة بها .**
3. **مراحل تطور الدبلوماسية .**
4. **صور الدبلوماسية المعاصرة الحديثة .**
5. **وظائف الدبلوماسية .**

ثانيا/ الإطار المفاهيمي للسياسة الخارجية

1. **تعريف السياسة الخارجية.**
2. **أهداف السياسة الخارجية.**
3. **أدوات السياسة الخارجية .**

ثالثا / السياسة الخارجية النشطة رهينة دبلوماسية فاعلة .

1. الدبلوماسية كأداة من أدوات السياسة الخارجية: دراسة هيرمان لأدوات السياسة الخارجية .

2. الدبلوماسية الفاعلة بين القوة الصلبة و القوة المرنة .

3. دور وزبر الخارجية في الفعل الدبلوماسي .

4. الوزارات و أجهزة الحكومة التي تعمل كجهات دبلوماسية فاعلة .

- خاتمة

أولا / الإطار المفاهيمي للدبلوماسية .

1/ تعريف الدبلوماسية :

إن كلمة الدبلوماسية تعود إلى أصولها اليونانية من كلمة دبلوما(diploma) المشتقة من كلمة (Diblom) و التي تعني الوثيقة الرسمية ، إذ جرت العادة لدى اليونانيين أن يزودوا سفراءهم الذين يتم انتدابهم لإقامة علاقات حسن الجوار أو أي علاقات أخرى متنوعة مع الدول الأخرى. [1] *

و قد عرفت الدبلوماسية تعاريف مختلفة من قبل المفكرين و الكتاب و الفقهاء و الباحثين و المؤلفين ، و قد تشابهت تلك التعاريف في مضامينها ، و لكن هناك بعض الفروقات في وجهات النظر ، و من تلك التعاريف:

_ عرفها الهنود منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة بأنها (القدرة على إثارة الحرب و تأكيد السلام بين الدول)

_ أما (آرنستوساتو) فقد عرف (الدبلوماسية)على أنها (استخدام الذكاء و الكياسة في العلاقات الرسمية بين مقومات الدول المستقلة).

_ أما تعريف (ريفيه_(Rivier) عام 1866, فقد ذكر فيه :الدبلوماسية هي علم و فن تمثيل الدول ، كما هي علم و فن المفاوضات)

و في تعريف (شارل كالفو_sha.calvo) فالدبلوماسية تعني : علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول و الناتجة عن المصالح المتبادلة و عن مبادئ القانون الدولي العام و نصوص المعاهدات و الاتفاقيات.

أما مونتيسيكيو فقد ربط الدبلوماسية بالهدف الذي تسعى إليه ، إذ أنه اعتبر (أن قانون البشر مبني طبيعيا على مبدأ هو أن (مختلف الأمم يجب أن تحقق الخير الأعظم و فق السلم ،و إذا أمكن إلحاق الضرر الأقل و قت الحرب دون المساس بالمصالح الجوهرية)[2]

أما عن التعاريف الحديثة فيمكن رصد التالي :

عرفها نيكلسون بأنها : " توجيه العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات و الأسلوب الذي يدير السفراء و المبعوثون هذه العلاقات و عمل الرجل الدبلوماسي أو فنه ".

و هناك من يعرفها بأنها : " فن و علم معالجة الشؤون الخارجية الدولية ".[3]

و هناك من يعرفها بأنها : " الذكاء و الخبرة اللازمان لتوجيه العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة ، و قيل توجيه علاقات الدول بوسائل سلمية.

و يعرفها حامد السلطان بانها :" فن و علم معالجة الشؤون الخارجية للدولة ، و أن العلاقات الدبلوماسية هي الصورة الحية للاتصالات الدولية [4]

و قد يكون تعريف (الدكتور سموحي فوق العادة) أكثر التعاريف شمولية إذ يقول : " الدبلوماسية هي فن تمثيل الحكومة و رعاية مصالح البلاد لدى الحكومة في الخارج (و كذلك سيادتها) ، و إدارة الأعمال الدولية بتوجيه المفاوضات السياسية و متابعة مراحلها و فقا للتعليمات المرسومة و السعي لتطبيق القانون في العلاقات الدولية ، كما تصبح المبادئ القانونية أساس التعامل بين الشعوب و الدول المختلفة." [5]

_ كما عرف الدكتور حسن صعب الدبلوماسية بأنها: علم و فن و قانون و تاريخ و مؤسسة و مهنة.

إنها **علم:** لأنها تنطوي على قواعد و على أصول محددة تحكم ممارستها و كيفية تطبيقها في العلاقات بين الدول.

و هي **فن** : حيث أن تطبيقها يستلزم الموهبة و القدرة و فن الإقناع عند من تناط بهم ممارستها ووضعها موضع التطبيق.

و هي **قانون**: لأن قواعدها و أصول ممارستها أصبحت موحدة بين مختلف الهيئات الدولية و أشخاص القانون الدولي و قد أصبحت بالتالي جزءا هاما من القانون الدولي العام.

و هي **تاريخ**: لان تطورها ارتبط و يرتبط بتطوير العلاقات الدولية، كما أنها سجل لتاريخ التعامل و التواصل بين الأمم.

و هي **مؤسسة** : حيث أنها تمارس من خلال هيئات و مؤسسات متخصصة و مستقلة في اطار كل دولة.

و هي **مهنة**: فالذين يمارسونها اليوم ينصرفون لها بكامل نشاطهم و بالتالي يتفرغون لأداء وظائفهم كأي نشاط سياسي و إداري متخصص و مستقل.[6]

2/ الدبلوماسية و المصطلحات المرتبطة بها :

أ/ الدبلوماسية* و السياسة الخارجية [7]:

هناك ثمة اختلاف في مفهومي السياسة الخارجية و الدبلوماسية ، إذ" أن السياسة الخارجية لدولة ما هي :تدبير نشاط الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى، أو المنهج الذي تسير بمقتضاه الدولة في علاقاتها في الشؤون السياسية و التجارية و الاقتصادية و المالية مع الدول الأخرى.[8]

في حين أن الدبلوماسية تعتبر إحدى أدوات السياسة الخارجية للدولة ... فالدول إذ تسعى من خلال سياساتها الخارجية إلى فرض ارادتها على ما عداها تحقيقا لمصالحها الوطنية ، تلجأ إلى تحقيق هذا الهدف "فرض الإرادة " إلى إحدى الوسيلتين : " الدبلوماسية " باعتبارها فن الاقناع " و الإستراتيجية باعتبارها فن الإكراه .. كوسيلتين مكملتين لبعضهما في خدمة هدف واحد هو حماية المصلحة الوطنية للدولة و حماية أمنها الخارجي.[9]

ب/ الدبلوماسية و الإستراتيجية :

على الرغم من التباين الواضح بين كل من "الدبلوماسية" و " الإستراتيجية" كأداتين من أدوات السياسة الخارجية للدولة من حيث طبيعة كل منهما و اختلافهما من حيث الأسلوب فإن ذلك لا يعني البتة انقطاع الصلة بين الدبلوماسية و الإستراتيجية .... فالعمل الدبلوماسي يظل مستمرا حتى في ظل اللجوء إلى الأداة الإستراتجية " خلال فترة الحرب " .

فالدولة التي تلجأ إلى العمل العسكري قد تواكبه بنشاط دبلوماسي مكثف تستهدف به تبريد و تفسير أسباب لجوئها إلى هذا العمل .. كما أنها قد تعمل من خلال الأداة الدبلوماسية على اكتساب الحلفاء إلى جانبها أو إقناع الدولة غير المتحاربة بالوقوف على الحياد – كذلك فقد تستهدف الجهود الدبلوماسية للتوصل إلى وقف إطلاق النار أو عقد هدنة أو اتفاقية سلام.[10]

ج/ الدبلوماسية و إدارة العلاقات العامة :

تعتبر الدبلوماسية الأداة الرئيسية في السياسات الخارجية للدول و التي تتناول علاقتها و مصالحها ، و الدبلوماسية الفعالة هي التي تدعمها كل الأدوات السياسية أو الدعائية و النفسية ، و الاقتصادية و العسكرية و يعتبر كثير من المحللين أن هدف الدبلوماسية الأول هو التوفيق بين خلافات الدول و فتح مسالك للاتصال بينها من اجل تحقيق هذا الهدف ، اذ تقوم الدبلوماسية بدور هام في نطاق العلاقات الدولية و تدعيمها و علاج كافة الشؤون التي تهم مختلف الدول و التوفيق بين المصالح المتعارضة و وجهات النظر المتباينة ، و عن طريق الدبلوماسية أيضا تستطيع كل دولة أن توطد مركزها و تعزز نفوذها في مواجهة الدول الأخرى فالدبلوماسية هي بمثابة القوى المحركة للحياة الدولية و

مبعث نشاطها و هي بمثابة الإدارة لكل دولة ,اذا أحسنت استخدامها فإنها تحصل على كل المزايا التي تسعى اليها ، و تتبوأ المركز اللائق بها في المجتمع الدولي.[11]

د/ الدبلوماسية و صانع القرار السياسي:

تعد عملية صنع السياسية الخارجية من مسؤوليات " القيادة السياسة " حيث تشارك فيها المؤسسات السياسية الرسمية في الدولة ولاسيما السلطتين التنفيذية و التشريعية أما عملية وضع هذه السياسة موضع التنفيذ فتقع مسؤولياتها على الجهاز الدبلوماسي – و على الرغم من ذلك فقد يقوم رجال السياسة في بعض الأحيان بوظائف الدبلوماسيين فيعملون على وضع السياسة الخارجية موضع التنفيذ بأنفسهم كما هو الحال في دبلوماسية القمة .

غير أن الدبلوماسيين يحبذون أن تترك ممارسة المهام الدبلوماسية لهم كمحترفين و ذوي خبرة في هذا المجال .[12]

3/ مراحل تطور الدبلوماسية :

مرت الدبلوماسية بأربع مراحل رئيسية :

1. الدبلوماسية القديمة : و تبدأ من العصور السحيقة و تستمر حتى نهاية القرون الوسطى.
2. الدبلوماسية الدائمة : و تبدأ بعصر النهضة الإيطالية و تستمر حتى مؤتمر فيينا عام 1815 .
3. الدبلوماسية الحديثة : و تبدأ من مؤتمر فيينا عام 1815 و تستمر حتى الحرب العالمية الثانية.
4. الدبلوماسية الجديدة : و تبدأ من نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945 و تستمر حتى الآن.[13]

و تتميز كل مرحلة من هذه المراحل الأربع بعدة مميزات:

المرحلة الأولى : كانت الدبلوماسية متقطعة و غير منتظمة ، و اقتصرت مهمة الدبلوماسي على التعبير عن وجهة نظر بلاده و الدفاع عنها و في نهاية هذه المرحلة أصبحت مهمته تحري أسرار الدولة التي يوفد اليها و بذلك حل الدبلوماسي الرقيب محل الدبلوماسي الخطيب.

المرحلة الثانية: ظهرت البعثات الدبلوماسية الدائمة و مع ذلك ظلت قواعد العمل الدبلوماسي غير واضحة أو محددة، و كان الممثلون الدبلوماسيون في مستوى واحد، أي ذوي درجة واحدة رغم اختلاف أسمائهم سفراء، أو نواب و يمثلون رؤساء الدول ذاتها.

المرحلة الثالثة : و قد شهدت تصنيف الدبلوماسيين إلى ثلاث درجات وفقا لاتفاق فيينا لعام 1815 الأولى درجة السفراء أو وكلاء البابا أو القاصدين الرسوليين ، و الثانية درجة المندوبين أو الوزراء المفوضين أو غيرهم ممن يعتمدون لدى الملوك ، و الثالثة درجة القائمين بالأعمال ، و في هذه المرحلة تراجع دور التجسس و المراقبة و أصبح الدبلوماسي يتركز على تزويد حكومته بالمعلومات التي تساعدها في رسم سياستها الخارجية و استكشاف مجالات التعاون الدولي،وظلت الدبلوماسية سرية و محصورة في عدد ضيق من الأفراد المتخصصين.

المرحلة الرابعة : ظهرت الدبلوماسية العلنية أو المفتوحة بقيام عصبة الأمم و تقدم وسائل الاتصال و ازدياد أهمية الرأي العام و تضاءل دور المبعوثين مع قيام رؤساء الدول ووزراء الخارجية بالمهام الدبلوماسية إلى المؤتمرات الفنية التي تعقدها هذه الهيئات ، لقد شهدت هذه المرحلة ظهور ممثلي المنظمات الدولية العامة و الفنية.[14]

4/ الدبلوماسية القديمة والدبلوماسية الحديثة (المعاصرة):

أ_ الدبلوماسية القديمة :

كانت الدبلوماسية القديمة تتميز بأنها دبلوماسية غير منتظمة فهي محددة و متجولة جغرافيا نظرا لضعف وسائل الاتصال والمواصلات وتجدر الإشارة إلى أن الدبلوماسية القديمة لم تتبع قواعد ثابتة في العمل الدبلوماسي ، بل كانت بعض قواعد العمل الدبلوماسية لاسيما حرمة المبعوثين تحاط بها هالة من القدسية و الممثل الدبلوماسي كان يحظى برعاية و مكانة خاصة في حماية الآلهة له ، و كان السفراء يرسلون عندما يكون هناك موضوع أو مسألة محددة يتوجب حلها، كإعلان الحرب أو عقد صلح أو معاهدة سلام أو تحالف أو اتفاقات تجارية .

ب _ الدبلوماسية الحديثة (المعاصرة):

و التي بدأت منذ عصر النهضة ، فقد تميزت بأنها دائمة و مستقرة و ثابتة ، و ذلك بفضل استمرار تبادل البعثات الدائمة ، و بهذا أصبحت الدبلوماسية مهنة و مسلكا قائما بذاته يعتمد على قواعد و أصول ثابتة ضمن مرحلتين كبيرتين:

_ **مرحلة الدبلوماسية التقليدية :** تبدأ من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى ، وتميزت بكونها (ثنائية و دائمة) و ذات طابع سري و شخصي (الدبلوماسية السرية).

_ **مرحلة الدبلوماسية الحديثة المعاصرة :** و تبدأ من الحرب العالمية الأولى وحتى الآن ،و تميزت بكونها متعددة ومفتوحة أي (علنية و مكشوفة) ولا بد أن نشير إلى أن البندقية كانت نقطة انطلاق العمل الدبلوماسي منذ القرن الخامس عشر،حيث يشكل هذا التاريخ نقطة انطلاق ليس فقط

للدبلوماسية الحديثة بل لتاريخ الأفكار السياسية أيضا ، و الذي بدأ مع ميكيا فيلي سفيرا إلى جانب دانتي.

حيث تميزت بالأسلوب الديمقراطي والعلني و تخليها عن طابع السرية و أصبحت دبلوماسية مفتوحة وهذا التحول تم بتأثير مبادئ الرئيس الأمريكي (ولسون) الذي رأى من الصحيح و المفيد أن تمارس الدبلوماسية بإطار من الوضوح و الصراحة الجماهيرية و الاعتراف بالأولوية لرأي الشعوب.[15]

5/ صور الدبلوماسية المعاصرة الحديثة :

أخذت الدبلوماسية تكتسي عدة صور مختلفة منها :

أ_ الدبلوماسية الثنائية التقليدية : وهي قائمة على الاتصال و المفاوضات بين دولتين معنيتين ، لأنها تعنى بمصالحهما المشتركة .

ب_ الدبلوماسية الجماعية أو دبلوماسية المؤتمرات : و هي دبلوماسية قائمة على مبادئ عقد المؤتمرات التي تدعو إليها الدول أو المنظمات الدولية الإقليمية أو الوكالات الدولية المتخصصة .[16]

و قد توالت المؤتمرات الدولية الكبرى خلال القرن التاسع عشر و التي كان من أظهرها مؤتمر "أكس لا شابيل 1818" الذي وضع الأسس الأولى لتنظيم العلاقات الدبلوماسية فيما بين الدول .

ج_ الدبلوماسية البرلمانية أو دبلوماسية المنظمات الدولية : وهي التي تجري ممارستها من خلال الدورات العادية التي تعقدها المنظمة الدولية ، خاصة بوجود الوفود الدائمة للدول.

وقد وجدت أول تطبيق عملي لها في ظل المتطلبات الدولية للسلام و الأمن الجماعي التي ظهرت خلال القرن العشرين " منظمة عصبة الامم " منظمة الأمم المتحدة – حيث يرى البعض أن هذه المنظمات تعد بمثابة "برلمانات عالمية تطرح من خلالها القضايا و المشكلات الدولية للمناقشة العامة .

د_ الدبلوماسية الرئاسية أو دبلوماسية الأعلام: و هي العمل الدبلوماسي القائم على الاتصال و التعامل مباشرة بين الشعوب و التنظيمات السياسية و الحكومات .

هـ _ الدبلوماسية الاقتصادية: يقصد بالدبلوماسية الاقتصادية النشاطات الاقتصادية الدبلوماسية التي تستخدم العامل الاقتصادي في التعامل السياسي و عادة ما يتم ذلك من قبل الدول المتقدمة أو الغنية في مقابل الدول النامية ، و قد برزت هذه الدبلوماسية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فقد تم إنشاء العديد من المنظمات الدولية ذات الطابع الاقتصادي التي تشكل اطلرا للنظام المالي الدولي و للنشاطات التجارية للدول الحديثة و من أهمها صندوق النقد الدولي (IMF) و الاتفاق العام للتعريفات و التجارة (ITO) و منظمة التعاون و التطور الاقتصادي (OECD) و غيرها.

و _ دبلوماسية القمة : و هي الدبلوماسية التي تعقد بين رئيسين ، أو ملكين ، أو ثلاث من قادة الدول أو أربعة بشأن العلاقات و المصالح المشتركة ، و بشأن توحيد المواقف إزاء صراع أو أزمة دولية معنية ، و هذه الدبلوماسية يطلق عليها تسمية مؤتمرات القمة ، و لها مراسمها الرئاسية الخاصة بها.[17]

ز_ دبلوماسية الموبايل و الدائرة المغلقة أو دبلوماسية الخط الساخن والهاتف النقال و الدائرة الإعلامية المغلقة: و يطلق عليها تسمية دبلوماسية التكنولوجية العالية ، و هي التي تجري اتصالاتها بين قادة الدول ، كالاتصالات الجارية بين الرئيس الأمريكي أوباما و رئيس وزراء العراق نوري المالكي ، أو بين الرئيس أوباما و رئيس وزراء تركيا (رجب طيب أوردوغان) ، أو بين أوباما و بوتين رئيس روسيا ، أو غيرهم من قادة الدول ، و من خلال هذه الدبلوماسية يجري توضيح مواقف الدول بشأن الأزمات المتأججة و خاصة في منطقة الشرق الأوسط .[18]

ح _ الدبلوماسية المكوكية:

و هي ذلك النوع من الدبلوماسية الذي يقوم به بعض رؤساء الدول أو الحكومات وزراء الخارجية من خلال تنقلاتهم بين دولتين أو عدة دول بهدف التوصل الى حل لمشكلة معينة حيث تعتمد على سلسلة من الزيارات القصيرة المدة و المتتابعة وقد ساعد تقدم و تطور وسائل المواصلات على تزايد أهمية هذا النوع من الدبلوماسية

ومن المحاذير المرتبطة " بالدبلوماسية المكوكية" إمكانية إثارة توقعات النجاح فضلا عن إمكانية التوصل إلى حلول سريعة و عاجلة غير مدروسة حيث أن عنصر الوقت في مثل هذه الحالات قد لا يتيح إمكانية الدراسة المتعمقة و المتأنية و من أبرز الأمثلة على الدبلوماسية المكوكية الزيارات التي قام بها "هنري كيسنجر" بين الدول العربية و إسرائيل و التوصل إلى اتفاقيات فك الاشتباك.

ط _ دبلوماسية الأزمات :

يقصد بهذا النوع من الدبلوماسية النشاط الدبلوماسي الذي يوجه لحل أزمة دولية طارئة، حيث أن إدارة الأزمات الدولية أصبحت إدارة هامة في العلاقات الدبلوماسية المعاصرة، ذلك أن المجتمع الدولي المعاصر معرض باستمرار لأزمات سياسية مختلفة نتيجة للاختلافات العقائدية، والسياسية، والاقتصادية بين الدول ولعدم مقدرة أو رغبة الدول في استخدام القوة العسكرية لوضع حد للأزمات[19]. و هي تمارس خلال فترات الأزمات الدولية بهدف احتوائها و الحيلولة دون تصعيدها و قد ازدادت أهمية هذا النوع من الدبلوماسية في ظل تزايد مخاطر المواجهة العسكرية النووية بين القطبين في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .[20]

ي_ الدبلوماسية الوقائية " المانعة " :

و يرجع في ظهورها إلى "داج همرشولد " السكرتير العام الأسبق للأمم المتحدة 1953_1961 و قد تمثلت في الجهود التي قامت بها الأمم المتحدة خلال أزمة السويس عام 1956 حين تدخلت من خلال بعض التدابير العسكرية الجماعية المحدودة لفض الاشتباك بين الدول المتحاربة ووضع ترتيبات وقف اطلاق النار و تعرف هذه التدابير " بعمليات حفظ السلام" ... و قد استهدفت هذه الدبلوماسية تسوية المنازعات التي تنشأ بين دول العالم الثالث غير المنحازة بعيدا عن تدخل القوى الكبرى حتى لا يتسع نطاق الحرب الباردة بين العسكرين أو بعبارة أخرى محاولة الاحتفاظ بتلك الصراعات أو الخلافات بين دول العالم الثالث بصفتها المحدودة المحلية وتعتمد الدبلوماسية الوقائية على فكرة قيام الأمم المتحدة بالتدخل في الصراعات الإقليمية الناتجة عن وجود فراغ في القوى في بعض مناطق العالم الثالث . و قد طبقت الدبلوماسية الوقائية خلال أزمة السويس و خلال أزمة لبنان و الأردن .[21]

ك _ الدبلوماسية الشعبية :

و يقصد بها الاتصالات التي تتم بين الشعوب والتي تقوم بها و فود طلابية أو عمالية أو فنية أو رياضية ليست لها صفة حكومية ... و الغرض منها التقريب بين الشعوب و ازالة بعض التصورات الخاطئة او الأفكار المسبقة غير الصحيحة.

و من أمثلة ذلك الزيارة التي قام بها بعض الطلبة الأمريكيين "للفيتنام في محاولة للتقارب مع شعب الفيتنام و إزالة ما علق بذهنه عن الولايات المتحدة حيث كان هذا الفريق الذي قام بالزيارة عام 1988 أول فريق من الأمريكيين غير المسلحين الذين سيراهم الفيتناميون, و قد أوفد هذا الفريق من قبل احدى الجمعيات الأهلية الأمريكية في " فيلادلفيا" تعرف بلجنة إصلاح العلاقات مع الهند الصينية .[22]

ل_ الدبلوماسية الثقافية :

تعتبر الدبلوماسية الثقافية نمطا جديدا و متطورا من أنماط الدبلوماسية الدولية و يقصد بها تلك الجهود الدبلوماسية التي ترمي إلى إحداث تغيير في التصورات التي تحتفظ بها الدول عن غيرها و ما يرتبط بذلك من تغيير في أنماط سلوكها تجاه الدول الأخرى ، و إيجاد تأييد شعبي لثقافة معينة يساعد على خلق استجابات إيجابية لسياسة الدولة خارج حدودها أي في الدول الأخرى مما يسمح بإقامة علاقات مستقرة و روابط ودية بين الشعوب و خلق المناخ لكل نظام سياسي لان يتفهم و يدرك مخاوف و أماني و تطلعات و مصالح النظم السياسية الأخرى.[23]

6_ وظائف الدبلوماسية :

تقوم الدبلوماسية بعدة وظائف و أدوار أهمها :

أولا: الدبلوماسية تيسر سبل التواصل بين القادة السياسيين و بين الوحدات الأخرى في مجال السياسة الدولية، فمن دون هذا التواصل لا يمكن أن يقوم مجتمع دولي و لا أي نظام دولي على الإطلاق . و بهذا تكون الوظيفة الأولى و الأساسية للدبلوماسيين هي أن يكونوا رسلا , و كشرط لأداء مهمتهم بشكل فاعل يبرز الميثاق أو المؤسسة الدبلوماسية الأولى و الأساسية ،ألا و هي حصانة المبعوث من أن يقتل أو أن تقييد حركته من قبل الدولة المضيفة.

و الوظيفة الثانية للدبلوماسية هي التفاوض للتوصل إلى اتفاقات فلا يمكن التوصل إلى اتفاقات إلا إذا تراكبت مصالح الأطراف المعنية في نقطة ما ، مع أنه ربما تكون مختلفة، إلا اذا كانت هذه الأطراف قادرة على إدراك ذلك التراكب، و فن الدبلوماسي هو تحديد ساحة ذلك التراكب في المصالح ،وجعل الأطراف المعنية من خلال المنطق و الإقناع تعي وجوده و طبيعته .

و هناك وظيفة ثالثة للدبلوماسية و هي جمع معلومات أو أسرار استخبارية عن دول أجنبية ويتعين أن تستند السياسات الخارجية لكل دولة إلى معلومات عن التطورات التي تجري في العالم الخارجي ، في حين تسعى كل دولة إلى حرمان الدول الأخرى من الحصول على معلومات محددة عنها ، فهي ترغب في الوقت ذاته في إفشاء معلومات مدروسة عن نفسها، وهكذا نجد في عصرنا الحاضر مثيلا للتقليد البيزنطي الذي كان يقضي في حقبة من التاريخ أن تعصب عيون المبعوثين الأجانب أثناء رحلتهم الى عاصمة بيزنطة ، حيث كانوا يحتجزون في القلاع لكي لا يتمكنوا من الاطلاع على أي شيء لكن البيزنطيين كانوا أيضا يعمدون إلى إبهار أولئك المبعوثين بعروض تظهر أمامهم الجبروت العسكري للإمبراطورية ، حيث تسعى الدول الكبرى في عالمنا المعاصر إلى حجب معلومات عن خصومها تتعلق بقدراتها العسكرية ، لكنها في الوقت نفسه ترغب في إبهار الأعداء بتمرير معلومات منتقاة لهم عن قدراتها العسكرية كسبيل من سبل الردع .[24]

أما الوظيفة الرابعة للدبلوماسية فإنها تتمثل في التقليل إلى الحد الأدنى من آثار الخلافات الناجمة عن الاحتكاك في العلاقات الدولية فالخلافات في العلاقات الدولية ناجمة عن احتكاك تلك المجتمعات حتى بين الدول و الأمم التي تترابط في رقعة واسعة من المصالح المشتركة و التي تكون علاقاتها وثيقة و ودية ، و مثل هذا الاحتكاك مصدر دائم للتوتر و الخلاف الدوليين اللذين يمكن ألا تكون لهما علاقة بالمصالح الحقيقية للأطراف المعنية .

و يعد التقليل إلى الحد الأدنى من آثار ذلك الاحتكاك و احتواء هذه الآثار حيث تعتبر من الوظائف الرئيسية للدبلوماسية بوصفها "استخدام الذكاء والبراعة " ، و هي التي تفسر استخدامنا لكلمة "دبلوماسي" لوصف معالجة الأوضاع الإنسانية في إطار الحياة اليومية بطريقة بارعة لبقة .[25]

الإطار المفاهيمي للسياسة الخارجية

1/ تعريف السياسة الخارجية:

تعرف السياسة الخارجية بأنها :" مجموع الأفعال و ردود الأفعال التي تقوم بها الدولة في البيئة الدولية ساعية إلى تحقيق أهداف قد تكون محددة في إطار الوسائل المختلفة المتوفرة لتلك الدولة".[26]

كما عرفت بأنها :"فن إدارة التعامل مع الدول الأخرى على مقتضى المصالح القومية"

و يرى **فلادمير سوجاك Vladimir Sojack** أن السياسة الخارجية للدولة هي : " أساسا نشاط الدولة الموجه نحو تأمين مصالحها في الدول الخارجية من خلال العلاقة مع الدول الأخرى ، أو عناصر الجماعة الدولية الأخرى".

في حين عرفها **لاري ليونارد Léonard Larry** (1953) انطلاقا من وصفه السياسة الخارجية الأمريكية :" السياسة الخارجية للأمة في أي وقت هي مجموع الأفعال المتخذة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في علاقاتها الخارجية ... و السياسة الخارجية تتضمن على ماذا تفعل الأمة في العالم، لا ماذا تتفق على فعله أو تطمح اليه"

كما عرفها الدكتور فاضل زكي بأنها" الخطة التي ترسم العلاقات الخارجية لدولة معينة مع غيرها من الدول."[27] أما **دانيال باب Daniel Papp** (1994) فانه يفرق بين عملية السياسة الخارجية ، و السياسة الخارجية فعملية السياسة الخارجية هي : مجموع منتظم للأفعال التي تتبعها الدولة في صياغة و تضمين سياستها الخارجية.أما السياسة الخارجية فتعني: " الأهداف الموجهة لمنتظم من الأفعال التي تقوم بها الدولة من أجل إنجاز أهداف سياستها الخارجية".[28] اذن فالسياسة الخارجية مركبة من أهداف و قيم وقرارات و ممارسة أفعال , تطبق في العلاقات الخارجية للدولة من أجل تحقيق مصالحها الوطنية .[29]

عرفها الدكتور محمود خلف بانها" الخطة الاستراتيجية العامة التي ترسمها دولة ما و تنفذها بواسطة وسائل عدة أهمها العسكرية و الدبلوماسية."

من خلال عرضنا لمجموع التعاريف السابقة يمكننا اعتماد تعريف الدكتور **عامر مصباح** لكونه التعريف الأكثر شمولية حيث عرفها بأنها : " مجموع الأفعال التي تقوم بها الدولة في المحيط الدولي، و المعبرة عن أيديولوجية النظام السياسي ، و توجهاته الفكرية و الفلسفية و الراعية للمصالح الوطنية للأمة ، والمعبرة عن التمازج بين خصائص شخصية صناع القرار و مدخلات النظام و الظروف الدولية القائمة و الموارد المتوفرة و التي تتحقق عبر وسائل سلمية و غير سلمية"[30]

2/ أهداف السياسة الخارجية.

السياسة الخارجية كعملية مركبة و حسب ما يقول "والتز" فإنها تتحدد من خلال مئات المتغيرات الدقيقة و العوامل المتمايزة .[31] هذا ما يجعل الدول تؤسس عملية صناعة سياساتها الخارجية على مكانزمات .[32] و ذلك بغية تحقيق و ترجمة التصور النظري للدور الإقليمي أو الدولي الذي تضعه الدول لنفسها , و هو ما نعبر عنه بالأهداف , فيمكن للسياسة الخارجية أن تحمل جملة من الاهداف أهمها :

أ_ حماية السيادة و الأمن القومي : فيعتبر هدف حماية السيادة و الأمن القومي من اهم الأهداف التي تولها الدولة بكافة إمكاناتها للحفاظ عليها ضمن سياستها الخارجية و تعمل على توظيف كل إمكاناتها و إداراتها للحفاظ على كيانها و للقدرة على مواجهة التهديدات و المخاطر التي تحيط بها.

أما عن الطرق التي تلجا اليها الدول لتحقيق هذا الهدف فهي متنوعة و لها أشكال عديدة منها : إقامة التحالفات و التكتلات و الدخول ضمن اتفاقيات عسكرية و اقتصادية و اجتماعية و محاولة القيام بكافة السبل لانجاح السياسات الاقتصادية و التطوير الداخلي و إحلال الرخاء و النمو الاقتصادي وإن كان ذلك من خلال الحصول على المساعدات و القروض و الهبات أيضا بينما نجد دولا أخرى تأخذ موقف الحياد و البعد عن التكتلات الدولية أو الوقوف مع دول ضد أخرى لأبعاد نفسها عن مخاطر و أعداء هي ليست طرفا بها.[33]

ب _التنمية و الرخاء الاقتصادي :

لاشك انه كلما ازدادت قدرة الدولة و إمكاناتها زادت قدرتها على حماية نفسها و سيادتها بالإضافة إلى زيادة طموحها نحو الخارج و كلما امتلكت قوة اكبر و قدرات اكثر زاد طموحها للعب دور فعال في السياسات الدولية و الذي يصبح هدفا من أهداف السياسة الخارجية و بالتالي قدرتها على اخذ موقع هام في النظام الإقليمي أو الدولي أو كلاهما معا فالدول لا تسعى إلى القوة كهدف بحد ذاته بل وسيلة للوصول إلى بعض الأهداف الأخرى كالسمعة أو الهيبة أو فرض السلام أو للتأثير في اتجاهات النظام السياسي الدولي لذلك تسعى الدول إلى العمل على إيجاد السبل و الأدوات للاعتماد على ذاتها بمواردها و إمكاناتها للمحاولة بقدر الإمكان من عدم الاعتماد على دول أو جهات خارجية لما له من ثمن بتأثيره على العديد من الجوانب في سلوك الدولة و سياستها الخارجية بالإضافة إلى أن مبدأ الاعتماد هذا لا يحقق لها الأهداف المنشودة و التي جزء منها النمو و الرخاء الاقتصادي.[34]

ج_ تحقيق حالة السلم و الأمن:

معظم الدول تسعى إلى إيجاد حالة السلم و القيام بمهمة حفظ السلام و الأمن ، و تعتبرها قضية أساسية للدولة و مستقبلها و تحاول بكل السبل الابتعاد عن الصراعات و الحروب لما لها من

الآثار السلبية على سيادتها وأمنها خصوصا بعد تزايد المخاطر لامتلاك العديد من الدول للأسلحة المتطورة و خصوصا ما يسمى بأسلحة الدمار الشامل.

لذا تسعى الدول إلى فرض حالة السلام و الأمن خارج حدودها أيضا للحيلولة دون الوقوع في المخاطر التي قد تحدثها الصراعات و الحروب.

د_ الحضور و النفوذ الإقليمي:

يعتبر الحضور و النفوذ الإقليمي من الأهداف الهامة التي تسعى إليها الدول ضمن المنظومة الإقليمية و مد هذا النفوذ أحيانا بسيطرتها على الأقاليم التي تقع في إطارها و يأتي ذلك من خلال سياستها الخارجية و المرتبط بمدى قوتها على تحقيق هذا الهدف أما بالسيطرة بالشكل المباشر و ضم أقاليم بالقوة العسكرية و إما بقوتها الاقتصادية بالتأثير على السياسة الخارجية للدول من حولها ذات الإقليم الواحد.[35]

هـ_ زيادة إمكانات الدولة :

يقصد بها الإمكانات المادية و المعنوية و هي التي تعطي الدولة القدرة على الحفاظ على كيانها السياسي و القومي و تحدد طبيعة السياسة الخارجية للدولة لتعطيها قدرة المحافظة على مواجهة الضغط و التهديد الخارجي.

فلا يمكن للدولة حماية و تنمية مصالحها الوطنية دون بلوغها مرتبة متقدمة من القوة التي تؤهلها إلى تحقيق أهدافها كما تراه المؤسسة الواقعية حين مقارنة المصلحة و القوة , فزيادة الإمكانات للدولة تجعلها في موقف قوة لحماية كيانها.[36]

و_ الأهداف الأيديولوجية و الدينية :

تتشكل السياسة الخارجية من ثلاثة دوافع هي : الثقافة , الأديولوجية , و المصالح المادية [37] فالأيديولوجية تضع متخذ القرار في حالة تصور للمستقبل و ما يجب عليه من تحديد لأهدافه و الوسائل المحققة لها مثل الدبلوماسية و الدعائية و الاقتصادية و العسكرية... الخ فهي تساعد على بلورة الاطار الفكري الذي من خلاله يرى واضعو السياسات الواقع الخارجي و الذين يتعاملون معه بأسلوب الاستجابة و القرار كما يولد هذا العامل جملة من المعتقدات و الصور على صعيد السياسة الخارجية بين صانعي القرار و محيطهم فهي احدى السبل أو الأدوات التي تعتمدها الدول لتحديد خصومها من أصدقائها و تساعد في إدارة حركة سياستها الخارجية من هذا المنطلق.

للأيديولوجية دور فعال في تحديد الأهداف المرحلية و النهائية التي تخطط لها الدول و تبرر صراعاتها على أساسها, بالاضافة إلى أنها تخلق حساسيات و نفسية متبادلة و قد تتضمن التأثيرات التي

تتركها تراكماتها إلى وقت بعيد و أحيانا قد يتعذر اقتلاعها كليا, كما أنها تساعد على (عقلنة المفاضلة) بين الخيارات العديدة التي تطرحها الظروف في الموقف الخارجي.[38]

3/ أدوات السياسية الخارجية :

أ_ الأدوات الاقتصادية :

الأداة الاقتصادية عبارة عن استخدام القدرات و الإمكانات الاقتصادية المتاحة للدول بهدف التأثير في الدول الأخرى من حيث توجهاتها و سلوكها أو موقفها على النحو الذي يتفق مع تحقيق الأهداف الخارجية للدولة و حماية مصالحها.

و تعتبر هذه الأداة في مقدمة الأدوات الأخرى لأهميتها ، حيث تقوم الدول باستخدامها في سياساتها الخارجية في مواجهة الدول الأخرى ، و حيث أنها إما أن تساهم في دعم الاستقرار لدولة ما و إما أن تهدف إلى تغيير تلك الأوضاع و تشمل الأدوات الاقتصادية في إطار السياسة الخارجية من خلال العديد من الطرق التطبيقية منها : المنح و القروض ، و المساعدات و التسهيلات الائتمانية و المقاطعة الاقتصادية أو تجميد أرصدة بعض الدول.[39]

ب_ الأداة الدبلوماسية :

هي موضوع دراسة هذا المقال و قد تم التطرق إليها في المحور الأول .

ج _ الأداة الإعلامية :

تعتبر الأداة الإعلامية من الأدوات المؤثرة بشكل فاعل و كبير جدا على السياسة الخارجية و تحديدا بعد النصف الثاني من القرن العشرين لما وصلت اليه من تطور نتيجة عدة عوامل كالثورة الهائلة في وسائل الاتصال و تطور أجهزتها المختلفة.

و تكمن أهمية الأداة الإعلامية في عدة جوانب فهي تهدف إلى حث و توجيه الدعاية لتأييد أو رفض رأي أو سلوك معين كمحاولة لإقناع الرأي العام بسياسة ما ، كذلك أهمية دورها بعد بروز الأيديولوجية في السياسات الخارجية و التي شكلت سلاحا فعالا تستخدمه القوى العظمى في استقطاب الدول إلى جانبها و أنه ليس هناك فضل من الدعاية سبيلا لذلك.

تتعدد التأثيرات التي يمكن للأداة الإعلامية إحداثها فهي تؤثر في اتجاهات الرأي العام ، و اتخاذ هذا التأثير وسيلة للضغط على الدول الأجنبية في المواقف التي تمس مصالحها كذلك فإنها تؤثر على الناحية النفسية في الحروب ، حيث أنها تسعى لإقناع و إيصال الرسائل الهامة المراد إيصالها.

أصبحت الأداة الإعلامية من الأدوات الهامة للدول في استخدامها بالتنسيق مع باقي أدوات السياسة الخارجية فهي تصاحب الدبلوماسي و الاقتصادي للدول و هي أيضا تسبق العمل العسكري بغية التمهيد له في الأوساط الدولية و إضفاء الشرعية عليه.

د_ الأداة العسكرية:

عرفت في إطار تنفيذ السياسات الخارجية بأنها :الإكراه الذي تلجا الدولة اليه في الحرب بهدف إرغام الخصم على الخضوع لإدارتها , أما الأدوات العسكرية فهي مجموعة من المقدرات المتعلقة باستعمال أو التهديد باستعمال العنف المسلح المنظم ضد الوحدات الدولية الأخرى تشمله هذه الأدوات من إنشاء القوات المسلحة و كل ما يتبع ذلك الإنشاء من تدريب و توزيع و عقد التحالفات العسكرية و الهجوم المسلح .

و تعطي الأداة العسكرية بمفهومها العسكري هيبة للدولة و تجعل من الدول الأخرى تهابها و عدم التعرض لها إلا أن لها مخاطر كثيرة و مكلفة فلا يوجد معرفة مطلقة بقدرتها على تحقيق الأهداف المطلوبة بالإضافة إلى التأثيرات السلبية لها ضمن السياسة الخارجية و ما يمكن أن يبدر عنها من المواقف ضمن المنظومة العالمية.[40]

III _ السياسة الخارجية النشطة رهينة دبلوماسية فاعلة .

1/ الدبلوماسية كأداة من أدوات السياسة الخارجية:دراسة هيرمان لأدوات السياسة الخارجية :

قسم هيرمان أدوات السياسة الخارجية الى ثمان هي : الأدوات الدبلوماسية و الأدوات الاقتصادية و الأدوات العسكرية و الأدوات السياسية الداخلية و الأدوات الاستخباراتية و الأدوات الرمزية و الأدوات العلمية و التكنولوجية و الموارد الطبيعية .

تندرج تحت الأدوات الرمزية مجموعة من أدوات السياسة الخارجية التي تتضمن محاولة التأثير في أفكار الآخرين و تشمل تلك الأدوات مجموعة من الأدوات الدعائية و الأيديولوجية و الثقافية ، و فيما يخص الأدوات الدعائية فإنها تكون موجهة في التأثير على مفاهيم الأفراد العاديين و النخب غير الرسمية في الوحدات الدولية الأخرى وهي تهدف أساسا إلى من توجه إليهم الدعاية على تأييد أو رفض اتجاه أو سلوك معين كالحالة في كيفية إقناع الرأي العام الأمريكي في التعاطف مع القضية الفلسطينية في الشرق الأوسط أما الأدوات الأيديولوجية فإنها تنصرف الى إشاعة رأي مثالي على نطاق واسع لما ينبغي أن يكون عليه في المستقبل ، كمحاولة نشر المعتقدات الشيوعية ، أو المفاهيم الرأسمالية ، و غيرها من المفاهيم الأخرى و هناك تباين بين الأدوات الثقافية و الأدوات الدعائية و الأيديولوجية ، في كون الاولى ، أنها تؤكد في استغلال الموروث الثقافي في التأثير على الوحدات الدولية

الاخرى كإقامة العروض الثقافية في الخارج ، وإشاعة المفاهيم القومية على مستوى العالم الخارجي ، و غيرها من الأنشطة .[41]

فالدبلوماسية هي إذن بمثابته الإدارة لكل دولة – فلو أحسنت الدولة استخدامها فإنها ستنجح في الحصول على المكاسب التي تسعى لتحقيقها، بل و إنها تحظى من خلال الإدارة الدبلوماسية الناجحة بتحقيق احترام و إعجاب المجتمع الدولي بها لدورها الفاعل في تحقيق الأمن والسلام الدوليين ، و في صيانتهما وحمايتهما من كل التهديدات العرضية.[42]

*** دراسة هيرمان لأدوات السياسة الخارجية:**

و جد "هيرمان" أن الدول النامية بصورة عامة ، هي أقل الدول توظيفا للأدوات سالفة الذكر في حين أن الدول المتقدمة هي أكثر توظيفا لها .كما وجد "هيرمان" من دراسته لتكرار استعمال أدوات السياسة الخارجية ، أن الكيان الصهيوني و الولايات المتحدة هما أكثر الوحدات الدولية توظيفا للأدوات العسكرية ، في حين وجد أن الصين الشعبية و كوبا ، أكثر الدول توظيفا للأدوات الدعائية و تبعا لذلك فقد قام "هيرمان" بتطوير مقياس التركيز Concentration Index و هو مقياس يحدد درجة استغلال الوحدة الدولية لأداة واحدة أو لأدوات متعددة في سياستها الخارجية و المقياس هو حاصل مربعات نسب توظيف كل أدوات السياسة الخارجية الثمان و يتراوح المقياس بين واحد صحيح مما يعني أن الدولة توظف أداة واحدة في سياستها الخارجية و125 ما يعني أن الدولة تستعمل كل الأدوات بالتساوي .

إن طبيعة الأدوات المستخدمة تتفاوت طبقا لمراحل عملية السياسة الخارجية فمن التصور أن تستعمل الدولة أدوات معينة في مرحلة جمع المعلومات (كالأدوات الاستخبارية) ، و لكنها تلجأ الى أدوات أخرى حين تطبق السياسة الناشئة عن جمع تلك المعلومات (كالمهارات الدبلوماسية و القدرات العسكرية)

ينطوي تطبيق السياسة الخارجية عادة على توظيف مجموعات مختلفة من تلك الموارد و المهارات ، كأن تلجأ الدولة إلى استعمال العمل الدبلوماسي ، و القنوات العسكرية ، و القنوات الاقتصادية في آن واحد لتحقيق هدف معين ، كما حدث بالنسبة للأقطار العربية في حرب تشرين الأول من عام 1973 ، و لكن القنوات الدبلوماسية هي بصورة عامة من أكثر أدوات السياسة الخارجية استعمالا ، ثم تلي في الأهمية الأدوات الاقتصادية و أخيرا الأدوات العسكرية كذلك فان الدول قد تتجه إلى توظيف أداة معينة من أدوات السياسة الخارجية .[43]

2/ الدبلوماسية الفاعلة بين القوة الصلبة و القوة الناعمة:

تعد الدبلوماسية وقواها المختلفة من أقدم المفاهيم التي تناولها الباحثون منذ القدم والتي كانت غالبا ما يتم فهمها في إطار المعنى التقليدي للقوة الصلبة لكن مع تطور البيئة السياسية الدولية وتعاظم آثارها السلبية وزيادة تكلفة استخدام القوة العسكرية والتي كانت في السابق مقبولة مع الأخذ في الاعتبار أن الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول في الفترات السابقة كان أقل بكثير. لذا كان هذا بمثابة الدافع الذي أدى للتحول في مفهوم القوة وظهور مصطلح القوة الناعمة علي يد جوزيف ناي عام 1990 .

وتعتبر القوة الناعمة، في نظر ناي، بنفس مستوى أهمية القوة الصلبة كل منهم يدعم الآخر ففي حين أن القوة الصلبة تعد أساسا للقوة الناعمة حيث أنها تزيد من جاذبية الدولة وكذلك قدرتها على التأثير واستخدام مصادر القوة الناعمة وتوجيهها في الاتجاه المناسب ؛ فإن القوة الناعمة هي الأخرى توفر للقوة الصلبة غطاء الشرعية في عيون الآخرين.

عرف منظر "القوة الناعمة" البروفسور جوزيف ناي القوة الناعمة قائلا "إنها القدرة على الجذب لا عن طريق الإرغام والقهر والتهديد العسكري والضغط الاقتصادي، ولا عن طريق دفع الرشاوى وتقديم الأموال لشراء التأييد والموالاة، كما كان يجري في الإستراتيجيات التقليدية الأميركية، بل عن طريق الجاذبية، وجعل الآخرين يريدون ما تريد" .

هو يشير هنا إلى أنه اتجاه أكثر جاذبية لفرض القوة يختلف عن الوسائل التقليدية. فالدولة تستطيع تحقيق الأهداف التي تسعى إليها في السياسة الدولية لأن غيرها من الدول ترغب في أن تتبعها أو لأنها ارتضت وضع معين يصنع مجموعة من النتائج المترتبة والتي تستهدفها الدولة التي تمارس قوتها. وهذا يحدث عندما تستطيع الدولة جعل غيرها من الدول يرغب في ما ترغبه هي. وترتبط القدرة على التأثير على الآخرين وتوجيه رغباتهم وتحديدها بمصادر معنوية أو غير مادية للقوة كالثقافة والأيدلوجية والمؤسسات.

و أكد ناي كذلك على عنصر الجاذبية الذي تعتمد عليه القوة الناعمة فالقوة الناعمة تعنى لديه القدرة على تحقيق أهداف معينة عن طريق الترغيب والجاذبية لا الترهيب والإكراه. وتعتمد القوة الناعمة على عنصرين أساسيين هما المصداقية والشرعية كقاعدة لها. ويوجد تعريف آخر لجين لي "Geun Lee " بحيث يشير أن القوة الناعمة هي القدرة على خلق التفضيلات والصور الذهنية للذات عن طريق المصادر الرمزية والفكرية والتي تؤدي إلى تغيرات سلوكية في أفعال الأخرين. لذا يمكن القول أن هذا التعريف للقوة الناعمة يعتمد على مصادرها. وتعرف القوة الناعمة كذلك بال"Co-optive power " والتي تعني قدرة الدولة على خلق وضع يفرض على الدول الأخرى أن تحدد تفضيلاتها ومصالحها بشكل يتفق مع هذا الإطار الذي تم وضعه أو بمعنى أخر أن تقوم هي بوضع أولويات الأجندة الداخلية لغيرها من الدول. [44]

لذلك فإن عدم المساواة الناتجة عن التدرج في القوة هو من صميم النظام الدبلوماسي ، انه يلقي بآثاره على جميع ميادين السياسة و لاسيما على قدرة التفاوض (Power Of Négociation) انه لمن الطبيعي أن يسعى كل طرف من فرقاء اللعبة الدولية إلى استغلال قدراته الخاصة و إلى اكتساب عناصر التفوق على الآخرين .[45] لذا فيجدر بالدولة أن تبحث دائما و بدون هوادة عن الطريقة التي تقيد بها توسع الآخرين حتى تضمن بقائها ، فغالبا ما يكون مصير الجار هو الذي يتحكم في أمنها.[46]

كما أكد جوزيف أن الإستراتيجية الفعالة في العالم الحقيقى هى الدمج بين القوة الصلبة والناعمة بطرق فعالة. وقال أن "القوة الناعمة هى القدرة على الحصول على ما تريده باجتذاب الطرف الآخر وليس إكراهه أو دفع ثمن القوة الصلبة. ومعرفة كيفية الجمع بين أدوات القوة الصلبة والناعمة فى قوة ذكية".

من خلال كل ما سبق نؤكد دعوة ناي في أكثر من مناسبة بأن تعمل القوة الناعمة بانسجام وتوافق تام مع القوة الصلبة العسكرية قائلا "ينبغي ان تعمل القوة الناعمة بتمازج وتداخل تام مع القوة الصلبة، فالحاجة ماسة إلى سيف القوة الصلبة لأجل تحقيق السيطرة والسطوة العسكرية، في حين تعمل القوة الناعمة على الاستمالة والجذب والإقناع، وتلك هي القوة الذكية **Smart Power** بالمزج بين القوتين.[47]

3/ دور وزير الخارجية في الفعل الدبلوماسي .

إن لوزير الخارجية مهمتين رئيسيتين تندرج تحتهما سائر نشاطاته السياسية و الادارية و الدبلوماسية, فهو أولا عضو في مجلس الوزراء و ثانيا رئيس دبلوماسية بلاده[48] , فهو الشخصية السياسية التى توجه السياسة الخارجية[49]، وهو المرجع الأعلى فيها، ويشرف على أعمالها، وله وحده أن يصدر تعليمات ذات صفة تنظيمية أو توجيهية. وهو المهمين على السياسة الخارجية في الدولة، وهو صلة الوصل بين دولته والعالم الخارجي، وتصريحاته تقيد دولته. فهو المعيار الحقيقي لسياسة الدولة الخارجية وتبديله يعتبر تحولا في هذه السياسة.

لقد ازداد منصب وزير الخارجية أهمية في الوقت الحاضر، وللتدليل على ذلك نشير إلى زيادة الاتفاقيات الدولية الثنائية والجماعية, والتي أصبح توقيع وزير الخارجية عليها أمرا شائعا ومألوفا بالإضافة لوجود أجهزة داخل المنظمات الدولية العالمية والإقليمية مكونه من وزراء خارجية مثل مجلس أوروبا (لجنة وزراء الخارجية)، منظمة الدول الأمريكية (الملتقى الاستشاري لوزراء الخارجية)، منظمة الوحدة الإفريقية (مجلس الوزراء)، جامعة الدول العربية (مجلس وزراء الخارجية العرب).

ووزير الخارجية يجب أن تتوفر فيه ميزات خاصة كأن يكون دبلوماسيا محترفا أو سياسيا لامعا أو حتى أكاديميا مختصا بالشؤون الدولية. وأن يكون ذو عقل راجح وتفكير متزن يساعدانه على إدراك حقيقة الأهداف التي ترمي إليها الدول من نشاطها السياسي، وتتطلب منه أن يكون واسع الإطلاع، متمكنا من العلوم، دؤوبا على العمل، بحيث يتمكن من متابعة مجرى الأمور واتخاذ الوسائل الضرورية ، وعليه أن يكون رابط الجأش قوي الأعصاب، لا تهزه الأحداث والأزمات.[50]

4/ الوزارات و أجهزة الحكومة التي تعمل كجهات دبلوماسية فاعلة :

يلاحظ أن وزارات أخرى في حكومات الدول تلعب منذ فترة طويلة دورا معينا في صنع و تطبيق السياسات الخارجية إلا أن أدوارها الخاصة قد ازدادت بشكل لافت في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية ، فالوزارتان اللتان لعبتا اهم الأدوار في التمثيل و الاتصال المباشر هما وزارتا **التجارة و المالية** ، و مع التسليم بالسمة الاقتصادية لهذا التمثيل و الاتصال إلا أن هذا ليس بالأمر المدهش ، فوزراء التجارة و المالية و طواقمهم من الموظفين يقومون بالوساطة على المستوى الثنائي و الجماعي و من خلال المؤسسات متعددة الأطراف فالأهمية المتزايدة للتجارة على الأجندة الدبلوماسية دفعت عددا من حكومات الدول لان تعيد التفكير في الهياكل التنظيمية للدبلوماسية من منطلق خدمة الصالح الوطني على اكمل وجه حيث يعمل معظم وزراء الخارجية و التجارة سويا و بشكل وثيق كما أن عددا من الدول مثل بلجيكا و أستراليا قامت بدمج وزارتي الخارجية و المالية في وزارة واحدة ، و دول أخرى مثل كندا اتخذت نفس الخطوة لفترة من الزمن ثم تراجعت عنها فيما بعد و ذلك لأسباب سياسية داخلية و ليس لعدم نجاح عملية الإصلاح التنظيمي.[51]

هناك العديد من المجالات الوظيفية للدبلوماسية الثنائية و متعددة الأطراف بين الدول و التي تضطلع بها وزارات أخرى ففي القضايا المالية و البنكية تقوم وزارات المالية و معها البنوك المركزية و التي تعتبر الآن مستقلة عن السيطرة السياسية للحكومة بالتمثيل الدبلوماسي و الاتصال بنظرائهم في الدول الأخرى ، حيث يلتقي وزراء المالية و محافظو البنوك المركزية بانتظام و يتواصلون بشكل ثنائي أو جماعي في محافل كثيرة مثل اجتماع وزراء مالية مجموعة السبع و لجنة بازل بشأن الإشراف البنكي ، و أصبحت الاجتماعات الطارئة بشان الأزمات المالية الدولية أمرا روتينيا كما هو واضح في الاجتماعات التي تمت أثناء الانهيارات المتعددة للعملات في التسعينات ، و لقد سهلت تكنولوجيا الاتصالات أنواع التعاون الوثيق الذي يتم بشكل يومي و أسبوعي بين وزراء المالية و محافظي البنوك المركزية في الدول الصناعية المتقدمة كما نرى الآن ، و لو ذهبنا أبعد من ذلك يمكن القول بان الكثير من الوزراء الآخرين يدخلون في علاقات مباشرة مع نظرائهم في الخارج بشأن قضايا مثل الصحة و الأمن و الطاقة و التعليم ، كما أن الشكل و الهيكل الذي يتخذونه للتمثيل و الاتصال يتماثل مع الثقافة الدبلوماسية

الأصلية للتمثيل من خلال وزارات الخارجية فقد جعلت التكنولوجيا أنشطة جديدة في الاتصال أمرا ممكنا مثل المؤتمرات عن بعد و جماعات العمل التي تلتقي عبر الانترنت.[52]

خاتمة :

إذا كانت السياسة الخارجية هي فن قيادة علاقات دولية ما بغيرها من الدول ، فان الدبلوماسية هي القيام بالتنفيذ والتطبيق للبرنامج المحدد من خلال عمل منهجي و يومي عن طريق المفاوضات أو في الأقل المحادثات التي تجري بين الدبلوماسيين بعضهم بعضا او بين الدبلوماسيين و وزراء الخارجية. و قد تطورت هذه الأخيرة وأصبحت تنطوي على خصائص حديثة و ذات صور و أشكال مختلفة و متنوعة ،فمن دبلوماسية دائمة إلى دبلوماسية خاصة مؤقتة ، و من دبلوماسية ثنائية قائمة بين دولتين إلى دبلوماسية ثلاثية متعددة الأطراف قائمة بين الدول و المنظمات الدولية و الإقليمية ، و حتى سياسية و عسكرية و ثقافية (الأحلاف).حيث يقول الدكتور بطرس غالي :أن (الدبلوماسية لم تعد هواية ، بل هي علم ذو فروع متعددة وواضحة ، و ذات تخصصات دقيقة ، و تحتاج إلى المرونة و الممارسة).و منه يمكن استخلاص النتائج التالية حول الدور الفعال الذي يمكن أن تقوم به الدبلوماسية :

- ✓ تعتبر الدبلوماسية الأداة الأولى من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدولة .
- ✓ الوسيلة الأولى لصناع القرار لتسويغ قراراتهم وإقناع الآخرين بها في إطار حركة التفاعل الدولي.
- ✓ مثار اهتمام الأوساط الإعلامية في العالم لما لها من دور في تسيير الشؤون الدولية
- ✓ الوسيلة الأولى للدول لتسهيل قيام علاقات ودية وسلمية بينها .
- ✓ الدبلوماسية هي الأداة الأولى لذلك الشخص المعني بممارسة التفاوض والتمثيل لبلاده (الدبلوماسي) يستخدمها لتقريب وجهات النظر والتوفيق بين مصالح بلاده والبلاد الأخرى.
- ✓ تستخدمها الدول بعد استقلالها وتحقيقها السيادة الوطنية لإثبات الذات في المجتمع الدولي حيث يتم ممارسة الدبلوماسية بمظاهرها كافة كالتمثيل الدبلوماسي والإعلام والتفاوض وعقد المعاهدات .
- ✓ وسيلة لتحقيق السلم و الأمن الدوليين في حركة تفاعل المجتمع الدولي .

الهوامش :

1هيثم توفيق فياض, الدبلوماسية: المساومة القسرية و السياسة الدولية : دور صناع القرار في إثارة و إدارة و إحتواء الصراعات و الأزمات الدولية , الطبعة الأولى , دار دجلة , عمان, 2013 , ص 107 .

* للدبلوماسية معاني كثيرة فهي تعني : فن إدارة الشؤون الدولية لأمر يتطلب دقة الملاحظة و القدرة على التوجيه و الإقناع و هي بهذه الحالة تأتي بمعنى رديف لمعنى التفاوض و إطاره المليء بالمجاملات و أساليب فن الكلام و اللياقة و القدرة على التوجيه و الإقناع ، وهي يمكن أن تعني أيضا اللياقة و البراعة في الحياة عندما تستخدم كصفة لشخص كأن نقول (أنه يتمتع بدبلوماسية عالية) و يمكن أن تفهم بمعنى (مجازي) سلبي عندما نقول (أن هذا الشخص دبلوماسي) أي أنه يتصرف بدبلوماسية بمعنى أن تصرفاته مليئة بنوع من الرياء و الكذب و متلبسة بالخداع و الغموض لاستخدامه وسائل خفية و حيل قوية لكي يصل إلى أهدافه ويحقق طموحاته .

2 هيثم توفيق فياض,مرجع سابق , ص 109 , 110 .

3عامر مصباح ، تحليل السياسة الخارجية ، دار هومة ، الجزائر ، 2010 ، ص 311.

4 عامر مصباح ، مرجع سابق ، ص 313.

5 هيثم توفيق فياض,مرجع سابق , ص 110 .

6 علاء أبو عامر، العلاقات الدولية: الظاهرة و العلم ، الدبلوماسية و الاستراتيجية ،الطبعة الأولى , دار الشروق ، عمان ، 2004, ص 163.

* _ من المعاني الأكثر شيوعا للدبلوماسية ، أنها توصف أو تقترن ب (المفاوضات) و قد أصبح عرفا تعريف الدبلوماسية بأنها (فن المفاوضات) . و هذا التعريف الموجز غير مقبول كليا لأنه ينسف عدد كبير من وظائف الدبلوماسية الأخرى ، مثل رعاية مصالح الدول،و التمثيل، والاتفاق وغيرها ،و تحقيق التفاهم المشترك و حسم المشاكل العالقة بين دولتين أو أكثر.

7_ سيتم الاستفاضة حول مفهوم السياسة الخارجية و ما اتصل به من معلومات في المحور الثاني انشاء الله و ذلك تفاديا للتكرار .

8 أحمد نوري النعيمي , عملية صنع القرار في السياسة الخارجية " الولايات المتحدة انموذجا ", الطبعة الأولى, دار زهران للنشر , عمان , 2012, ص 54 .

9هشام محمود الأقداحي ,علم التفاوض الدولي و الاتصال الدبلوماسي ، مؤسسة شباب الجامعة ,الاسكندرية , 2010 , ص 14 .

10 هشام محمود الأقداحي , مرجع سابق , ص 15 .

11 علاء أبو عامر، مرجع سابق ، ص 164.

12 هشام محمود الأقداحي , مرجع سابق , ص15 .

13 علاء أبو عامر، مرجع سابق ، ص 165.

14 نفس المرجع , ص 165

15هيثم توفيق فياض , مرجع سابق , ص 180 , 181 .

16 نفس المرجع , ص 184.

17هيثم توفيق فياض , مرجع سابق , ص 184. .

18هيثم توفيق فياض , مرجع سابق , ص 184 , 185 .

19" الدبلوماسية ووسائل السياسة الخارجية" , من الموقع : <"http://www.siironline.org/alabwab/derasat%2801%29/329.htm", يوم : 2017/09/27, على الساعة : 18:00 .

20هشام محمود الأقداحي , مرجع سابق , ص23 .

21هشام محمود الأقداحي , مرجع سابق , ص24 .

22 هشام محمود الأقداحي , مرجع سابق, ص25 .

23علاء أبو عامر، مرجع سابق ، ص 174 .

24أحمد نوري النعيمي , مرجع سابق , ص 56 , 57 .

25 أحمد نوري النعيمي , مرجع سابق, ص 58 .

26 عامر مصباح ، مرجع سابق، ص 21.

27 معز بديع راغب الشيخ ، السياسة الخارجية المعاصرة للدول الإسلامية المتحدة ، الرضوان ، عمان ، 2013 ، ص 35.

28 نفس المرجع ،ص 22.

29إسماعيل دبش , سياسة الجزائر الخارجية بين المنطلقات المبدئية و الواقع الدولي : دراسة حالتي الساحل الافريقي و العالم العربي , أزمتي مالي و ما يسمى بالربيع العربي : الأسباب و الأبعاد , دار هومه , الجزائر , 2017, ص 81 .

30 عامر مصباح ، مرجع سابق ، ص 24.

31 James D. Fearon,Domestic Politics, Foreign Policy, And Theories Of International Relations , Annual Reviews.(S.L.E). 1998,P295 .

32 Thomas J. Schoenbaum ,International Relations : The Path Not Taken :Using International Law To Promote World Peace And Security , Cambridge University Press, New York, 2006,P40 .

33 طارق زياد الشرطي ، السياسة الخارجية التركية تجاه القضية الفلسطينية: عثمانيون جدد ام علمانية مؤمنة؟ ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الوراق ، عمان ، 2014 ، ص ،49.

34 نفس المرجع , ص 50.

35 طارق زياد الشرطي , مرجع سابق , ص 51.

36 نفس المرجع , ص 52.

37 Brenda Shaffer,The Limits Of Culture : Islam And Foreign Policy , The Mit Press, London, 2006, P 27 .

38 طارق زياد الشرطي ، مرجع سابق, ص53.

39 نفس المرجع, ص ، 59.

40 طارق زياد الشرطي ، مرجع سابق , ص 61 ، 62.

41أحمد نوري النعيمي , مرجع سابق , ص ص517 , 518 .

42هيثم توفيق فياض , مرجع سابق , ص 176 .

43أحمد نوري النعيمي , مرجع سابق , ص519 .

44 سيد العزازى " الفهم الصحيح للدبلوماسية ما بين القوة الصلبة والناعمة والذكية "رؤية تطبيقية " , من الموقع : "http://democraticac.de/xmlrpc.php"> , يوم : 2017/09/27, على الساعة : 18:30 .

45ألان بلاتني ، في السياسة بين الدول : مبادئ في الدبلوماسية ، (ترجمة : نور الدين خندودي)، موفم للنشر ، الجزائر ،2006 ، ص 63 .

46 نفس المرجع ، ص68.

47_ سيد العزازى , مرجع سابق .

48 _ هاني الرضا , العلاقات الدبلوماسية و القنصلية : تاريخها , قوانينها و أصولها , الطبعة الأولى, دار المنهل اللبناني , بيروت , 2006, ص38.

49 Marie christine tessler , la politique etrangére de la France : acteurs et processus, presses de sciences po, (S.L.E) ,1999 ,p73 .

50_ سيد العزازى , مرجع سابق .

51جيفري بيجمان ، الدبلوماسية المعاصرة (ترجمة: محمد صفوت حسن)، دار الفجر ، القاهرة, 2014 ، ص 62 .

52 جيفري بيجمان ، مرجع سابق ، ص ص 63 ،64.